مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 39- عدد 1 (2023): 15-27

Damascus University Journal of arts and humanities sciences Vol 39 No.1 (2023):15-27

القضيّة المنطقيّة الأساسيّة من أجل ميتافيزيقا تعدّديّة عند برتراند "راسل"

أحمد عسكر[1] أ. د. منيرة محمد[2] أ. د. محمد الطاغوس[3]

1 طالب دكتوراه، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق.

2 أستاذ دكتور، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق.

3 أستاذ دكتور، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق.

الملخّص

لقد سعى هذا البحث إلى تبيان أهمّ الأسباب التي من أجلها رأى ""راسل"" أنّ المنطق التقليديّ لا يصلح لإنتاج ميتافيزيقا تعدّدية، والمقصود بأهمّ الأسباب هنا، هو ذلك التصوّر الموجود في المنطق التقليديّ، الذي يرى أنّ القضيّة الحمليّة هي القضيّة الأساسيّة لكلّ القضايا الأخرى، وذلك بسبب أنّ جميع القضايا يمكن ردّها إلى الشكل الحمليّ. أمّا ""راسل"" فقد رفض القبول بهذا، وحجّته في ذلك أنّ هذا التصوّر التقليديّ المُشار إليه _ هذا إذا ما أردنا أن ننطلق من المنطق باتجاه التأسيس للميتافيزيقا _ لا يمكن أن يؤدّي إلّا إلى ميتافيزيقا واحدّية،، وأنّ الفلاسفة الذين توصّلوا إلى ميتافيزيقا تعدّديّة بالانطلاق من منطق يأخذ القضيّة الحمليّة بوصفها قضيّة أساسيّة،، كانوا قد وقعوا في التناقض عندما جمعوا بين منطق الموضوع والمحمول وبين التعدّديّة؛ لذلك، فإنّ ""راسل""، وبوصفه نصيرًا للنمط الميتافيزيقيّ التعدّدي، سيضع أمامنا منطقًا جديدًا يقوم على أساسيّة قضيّة أخرى، هي القضيّة العامّة عموميّة تامّة،، هذه الأخيرة التي ستساعدنا بحسب ""راسل""، أن ننتقل من المنطق باتجاه تعدّديّة ميتافيزيقيّة دون الوقوع في التناقض.

الكلمات المفتاحيّة: القضيّة المنطقيّة، القضيّة الحمليّة، القضيّة العامّة عموميّة تامّة، العلاقات، الواقعة، التعدّديّة.

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

The Basic Logical Proposition of Bertrand Russell's Pluralistic Metaphysics

Ahmad Askar[4] Prof. Munira Mohammad[5]
Dr .Mohammad Al Taghous[6]

.

4 PhD student, Department of Philosophy, College of Arts and Humanities, Damascus University.

5 Professor In Department Of Philosophy, College of Arts and Humanities, Damascus University.

6 Dr. Department Of Philosophy, College of Arts and Humanities, Damascus University.

Abstract

This research sought to show the most important reasons for which Russell saw that traditional logic is not suitable for producing a pluralistic metaphysics, and what is meant by the most important reasons here, is the traditional conception in logic that sees the Categorical proposition as the main proposition for all other propositions, because all propositions It can be reduced to the Categorical proposition. As for Russell, he refused to accept this conception, arguing in that that this conception - that is if we want to proceed from logic towards the foundation of metaphysics - can only lead to a monism metaphysics, And that the philosophers who reached a pluralistic metaphysics by starting from a logic that takes the Categorical proposition as a fundamental proposition, had contradicted when they combined the traditional with pluralism. Therefore, Russell, as a supporter of the pluralistic metaphysical style, will put before us a new logic based on the simplicity of another proposition, the completely general proposition, the latter which, according to Russell, will help us to move from logic towards a metaphysical pluralism without falling into contradiction.

Keywords: Logical proposition, Categorical proposition, Completely general proposition, Relations, Fact, Pluralism.

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدّمة:

يتمثّل الأمر الأساسيّ لإشكاليّة هذا البحث، بالوقوف على السبب الرئيسيّ الذي من أجله رأى الفيلسوف الإنكليزيّ "برتراند راسل" Bertrand Russell (1872_ 1970)، وجوب ردّ القضيّة الحمليّة Categorical proposition التي كانت تُعدّ القضيّة الأساسيّة وفق تصوّرات المنطق التقليديّ، إلى القضيّة العامّة عموميّة تامّةCompletely general proposition ؛ إذ تتميّز هذه الأخيرة بكونها قضيّة شرطيّة أصبحت هي القضيّة الأساسيّة عند أغلب أصحاب المنطق الرمزيّ المعاصر ومن بينهم "راسل". وعليه، فإنّ إشكاليّة هذا البحث هي عبارة عن صورة مصغّرة لتلك المسألة التي تُعرف في أدبيّات المنطق بـ (ردّ الحمليّات إلى الشرطيّات)؛ إذ يمكن عدّ هذه المسألة الأخيرة على أنّها الخلفيّة الفلسفيّة الكبرى لإشكاليّة هذا البحث التي تمّ تحديدها بفلسفة "راسل" فقط دون غيره من الفلاسفة المعاصرين. أمّا عن الأمر الأساسيّ للإشكاليّة، والمتمثّل بالسبب الذي من أجله رأى "راسل" وجوب عمليّة الردّ المذكورة، فإنّه يمكن القول: إنّ هذا السبب يتعلّق بالنظرة الخاصّة لهذا الفيلسوف إلى تلك العلاقة القائمة بين المنطق والميتافيزيقا، والتي يراها على أنّها عمليّة تأسيس الأوّل للثانية. طبعًا هذه نظرة خاصّة ب"راسل" الذي يعتقد أنّ أيّ نوع من أنواع الميتافيزيقا يجب أن يكون ناشئًا عن مذهب منطقيّ معيّن. وقد لا يتمّ الاتفاق معه حول هذا الرأي، إلّا أنّه يبقى رأيًا يستحق النظر، من حيث أنّ هذا الفيلسوف استطاع في مرحلة مبكّرة من مراحل تطوّره الفكريّ، وبالانطلاق من تصوّرات المنطق المعاصر أنّ يؤسّس لنمط ميتافيزيقيّ خاصّ بفلسفته هو النمط التعدّديّ.

في المرحلة التاريخيّة التي يمكن عدّ أنّها تمتد منذ العام (1900) الذي نشر فيه "راسل" كتابه (عرض نقديّ لفلسفة ليبنتز) A Critical Exposition of The Philosophy of Leibniz، وحتّى العام (1919) وكتاب (فلسفة الذريّة المنطقيّة) The Philosophy of Logic Atomism، كان هذا الفيلسوف مهتمًّا بمحاولة تأسيس نمطه الميتافيزيقيّ الخاص بفلسفته الذريّة المنطقيّة. ولأنّ "راسل" يريد للميتافيزيقا الخاصّة بفلسفته أن تكون تعدّديّة كونه يرى أنّ النمط التعدّديّ بإمكانه أن يعبّر عن معطيات العلم الحديث، ولأنّه كذلك يعتقد بأنّ الميتافيزيقا تنشأ عن المنطق، لذلك كانت عمليّة تأسيس الميتافيزيقا عنده عمليّة تعتمد على تصوّرات المنطق المعاصر، لا سيّما ذلك التصوّر الذي يرى أنّ القضيّة المنطقيّة الأساسيّة للمنطق يجب أن تكون شرطيّة. من هذا المنطلق كانت عمليّة التأسيس الميتافيزيقيّ التي تتمّ بالانطلاق من المنطق عند هذا الفيلسوف، هي عمليّة لا تخلو من النقد الموجّه إلى التصوّر التقليديّ الذي يرى أنّ القضيّة الحمليّة هي القضيّة الأساسيّة، كما أنّها لا تخلو من محاولة "راسل" تبيان كيف أنّ الفلاسفة الذين اعتمدوا على تصوّرات المنطق التقليديّ لتأسيس ميتافيزيقا تعدّديّة، كانوا قد وقعوا في التناقض بسبب أنّ الاعتماد على مثل هذا التصوّر، هو أمرّ بحسب "راسل" لا يمكن أنّ يؤسّس إلّا لنمط ميتافيزيقيّ معيّن، هو النمط الواحديّ. لقد كان الفيلسوف الألمانيّ الحديث (جوتفريد فيلهلم ليبنتز) Gottfried Wilhelm Leibniz (1646_ 1716)، هو النموذج الذي حاول من خلاله "راسل" تبيان كيف يتناقض مشروع التأسيس لميتافيزيقا تعدّديّة بالاعتماد على أساسيّة القضيّة الحمليّة، وربمّا أنّ "راسل" قد اختار ليبنتز للسببين الآتيين: الأوّل هو أنّ ليبنتز يُعد الأب الروحيّ للوجسطيقا الحديثة، إلّا أنّه لم يستطع الوصول باللوجسطيقا إلى ذلك الحدّ الذي وصل إليه اللوجسطيقيّون المعاصرون، وذلك بسبب اعتماد ليبنتز على تصوّرات منطقيّة تقليديّة خاصّة بالقضيّة المنطقيّة؛ ولذلك أراد "راسل" أن يعكس أسباب نجاح اللوجسطيقا المعاصرة على ضوء عرضه لأسباب فشل لوجسطيقا ليبنتز. أمّا السبب الثاني فهو أنّ ليبنتز، وهذا من وجهة نظر "راسل"، هو خير فيلسوف استخدم المنطق من أجل التأسيس للميتافيزيقا، إلّا أنّ خطأه كما يرى "راسل" هو أنّه أسّس لميتافيزيقا تعدّديّة، لا واحديّة، وهذا تناقض سيبيّن لنا "راسل" أسبابه التي ستُعرض في هذا البحث، ولذلك أراد "راسل" أن يعكس لنا أسباب ما يراه نجاحًا متمثّلًا بعدم وجود تناقض قائم بين المنطق الذي اعتمد عليه هو، وبين الميتافيزيقا التعدّديّة المؤسّسة على هذا المنطق، وذلك مرّة أخرى على ضوء عرضه لأسباب تناقض تعدّديّة ليبنتز.

لقد جاء هذا البحث مؤلّفًا من ملخصّيْن أحدهما باللغة العربيّة والآخر باللغة الانكليزيّة، تليهما المقدّمة، ثمّ ثلاث فقرات تشكّل المحاور الأساسيّة للإشكاليّة؛ إذ جاءت الفقرة الأولى لتناقش موقف "راسل" من أساسيّة القضيّة الحمليّة في المنطق التقليديّ. أمّا الفقرة الثانية فهي محاولة لتبيان الأسباب التي من أجلها يرى "راسل" أنّ أيّة محاولة لتأسيس ميتافيزيقا تعدّديّة باعتماد التصوّر

التقليديّ القائل بأساسيّة القضيّة الحمليّة، هي محاولة لا تخلو من التناقض، وستكون محاولة ليبنتز لهذا التأسيس نموذجًا عن هذا التناقض الذي سيقدّم لنا "راسل" أسبابه. أمّا الفقرة الثالثة والأخيرة فهي تعرض كيف أسّس "راسل" لميتافيزيقا تعدّدية بالاعتماد على التصوّر المعاصر القائل بأساسيّة القضيّة العامّة عموميّة تامّة، وستتمّ محاولة تتبّع الأسباب التي من أجلها يرى "راسل" أنّ مثل هذا التأسيس لا يعاني من أيّ تناقض. ثمّ بعد ذلك سيتمّ عرض مجموعة من النتائج التي تمّ التوصّل إليها في أثناء كتابة البحث، وأخيرًا قائمة بالمصادر والمراجع.

أوّلًا_ موقف "راسل" من أساسيّة القضيّة الحمليّة:

تمثّل أعمال "راسل" في ميدان فلسفة الرياضيّات والمنطق محطّة معاصرة مهمّة من محطّات التاريخ الفلسفيّ، ذلك أنّه يمكن القول عنها إنّها تشكّل حصيلة فلسفة القرن التاسع عشر، وهذا بسبب أنّها جاءت لتكمل مجموعة من التطوّرات المهمّة التي حصلت في ميدان المنطق على أيدي فلاسفة سابقين على "راسل"، من أمثال الألمانيّ جوتلوب فريجه Gottlob Frege (1848_ 1925) والإيطاليّ جوزيبه بيانو Giuseppe Peano (1858_ 1932)، وغيرهما من المناطقة المعاصرين الذين قام "راسل" بعدهم بمحاولة إكمال تطويراتهم المنطقيّة وتعزيزها، لتنعكس أعماله بعد ذلك بصورة نسق استنباطي ضخم، هو النسق المعروض في الكتاب الشهير "برنسيبيا ماثيماتيكا"[1] Principia Mathematica، هذا الكتاب المؤلّف من ثلاثة مجلّدات انتهى نشرها عام 1913، والذي أخرجه "راسل" رفقة زميله "ألفرد نورث وايتهد" Alfred North Whitehead (1861_ 1947)؛ إذ استطاع هذان الفيلسوفان أن يشتقا في كتابهما المذكور كامل الرياضيّات الكلاسيكيّة من المنطق الرمزي.

إنّ النتاج الفلسفيّ الراسليّ هو نتاجٌ ضخم، فنحن أمام فيلسوف موسوعيّ كتب في فلسفة الرياضيّات، وفلسفة اللغة، والمنطق، بل وحتّى في السياسة وغيرها من الميادين الأخرى. كما أنّ كتاباته وأعماله في أيّ ميدان من الميادين المذكورة كثيرة ومتشعّبة. كذلك أيضًا؛ ولأنّ حياته الفلسفيّة كانت طويلة نسبيًّا، كانت فلسفته ذات مراحل تطوّر مختلفة وعديدة. لذلك، لا يأخذ هذا البحث على عاتقه مهمّة عرض كامل فلسفة "راسل"، ولا حتّى مهمّة عرض فلسفته الخاصّة بالمنطق أو الميتافيزيقا، فهذه الأمور أكبر من أن يتمّ حصر أيّ منها داخل الحدود الضيّقة لهذا البحث. فهذا البحث معنيٌّ فقط بمحاولة تسليط الضوء على حلقة محدّدة من حلقات سلسلة "راسل" الفلسفية، هي تلك التي تُعدّ عند هذا الفيلسوف صلة الوصل بين المنطق والميتافيزيقا. إذن، هذا البحث لا يتناول دراسة المنطق ولا الميتافيزيقا ال"راسليّة، بل فقط يقف بينهما ليسلّط الضوء على صلة الوصل بينهما.

عند "راسل" يكون المنطق Logic هو الذي يؤسّس للميتافيزيقا Metaphysics، وهو يعلن عن هذا في مطلع كتابه "فلسفة الذرية المنطقية" قائلًا: "على أساس نوع محدد من المذهب المنطقي ينشأ نوع خاص من الميتافيزيقا"[2]، وهو يردف بعد ذلك مباشرة قوله التالي: " والمنطق الذي سأدافع عنه ذرّي، كمعارض للمنطق الواحدي"[3]. لقد تمّ فصل قول "راسل" السابق إلى اقتباسين تجنّبًا للخلط، لأنّ الاقتباس الأوّل ينطوي عند هذا الفيلسوف على ما يشبه التأكيد أو التعميم الذي قد يفتح المجال لكثيرٍ من النقد، ولا سيما أنّ فلاسفة كُثرًا عرفهم التاريخ، كانت لهم أفكارهم الميتافيزيقيّة الخاصّة دون أن يكون لهم ذلك الاهتمام بالمنطق. إلّا أنّ اهتمام هذا البحث ليس هو تسليط الضوء على مثل هذه الانتقادات التي من الممكن بقوّة أن توجد، ولذلك سيتمّ أخذ هذا التعميم ال"راسليّ على شكل فرضيّة بحثيّة قد يتمّ التوصّل في نهاية البحث إلى قول شيء ما فيها. أمّا القول؛ أو الاقتباس الثاني فإنّه يقبل نوعًا من التأويل الذي مفاده الآتي: إنّ المنطق التعدّديّ يؤسّس لميتافيزيقا تعدّديّة، والمنطق الواحديّ يؤسّس لميتافيزيقا واحديّة، وعليه يجب أن تكون الميتافيزيقا من شكل المنطق الذي تؤسَّس عليه وإلّا سوف يكون التناقض هو سيّد الموقف. إنّ هذا التأويل هو فرضيّة بحثيّة ثانية، وهي تختلف عن سابقتها من حيث أنّ البحث سيلتزم منذ الآن بالتدليل عليها كما هي موجودة عند

---

[1]_ يعني بالترجمة (أصول الرياضيّات)،، إلّا أنّ أغلب الكتّاب العرب يسمّونه (برنسيبيا ماثيماتيكا) أو (برنكيبيا ماتيماتيكا)،، وذلك لتجنّب الخلط بينه وبين كتاب راسل (أصول الرياضيّات) المنشور عام 1903.

[2]_ رسل،، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية،، ترجمة وتقديم: ماهر عبد القادر محمد،، دار المعرفة الجامعية،، مصر،، 1998، ،ص27.

[3]_ المصدر السابق نفسه،، الصفحة نفسها.

"راسل".إنّ نوع المنطق الذي يعتمد عليه "راسل" لتأسيس الميتافيزيقا، هو منطقٌ ذريّ كما ورَد عنه في الاقتباس الثاني، والمنطق الذريّ هو منطقٌ تعدّديّ؛ أيّ أنّه منطقٌ يُشاهد من خلاله هذا العالم على أنّه عالم كثير ومتعدّد[1]. عن هذا المنطق يقول "راسل": "... حينما أقول إن المنطق الذي أدافع عنه ذرّي، أعني مشاركتي للفهم المشترك الشائع الاعتقاد في وجود أشياء كثيرة منفصلة"[2].

أمّا عن ميتافيزيقا "راسل" التي يريد تأسيسها على هذا المنطق التعدّدي، فإنّه توجد نقطة بحاجة إلى التوضيح هي: قد يُظنّ أنّ "راسل" من الفلاسفة الذين يرفضون الميتافيزيقا، ولا سيما أنّ "راسل" وجورج مور George Moore (1873_ 1958)، يعدّان من مؤسّسي الفلسفة التحليليّة Analytic philosophy، هذه الأخيرة التي جاءت لتردّ على الفلسفات المثاليّة، والتي ستتطوّر بعد تلميذ "راسل"، النمساوي "لودفيج فيتجنشتين" Ludwig Wittgenstein (1889_ 1951)، تطوّرًا سينشط مع روّاد حلقة فيينا Vienna Circle وفلسفتهم الوضعيّة Positivism التي ستستبعد كلّ الميتافيزيقا عن واقع الدراسات الفلسفيّة بحجّة كونها مسائل خالية من المعنى[3]. إلّا أنّ الواقع هو أنّ "راسل"، ومور أيضًا "لم يكونا ضد التفكير الميتافيزيقي عمومًا. فقد استمر على اعتقادهما في أن الحق الميتافيزيقي من نوع ما ليس هو بالأمر الممكن فحسب، بل اعتقد كلّ منهما أنّه قد توصل إلى بعض هذا الحقّ" [4].

الآن، وبعيدًا عن بعض ذلك الحقّ الميتافيزيقيّ الذي وصل إليه "راسل" كونه أمر يقع خارج البحث، فإنّ ما أراده "راسل" هو تأسيس ميتافيزيقا ملائمة لمعطيات العلم الحديث، فالميتافيزيقا عنده ليست إيمانيّةً تريد الدفاع عن "المطلق" أو "الله" أو أي وجود مفارق آخر، بل إنّها تبدو وكأنّها محاولة لتأكيد سلامة منطقه التعدّديّ بوساطة القدرة على تأسيس ميتافيزيقا تعدّديّة تحاكي هذا المنطق، بحيث تصبح الميتافيزيقا شيئًا يشبه النظريّة الخلفيّة، أو ذلك الجانب الماورائيّ للنظريّة المنطقيّة. فهذا الفيلسوف "كان يأمل أن يجمع بين منهج (مل) ومنهج (ليبنتز) _ أي التجريبية والعقلية_ لكي يكشف إطارًا ميتافيزيقياً تتلاءم داخله مكتشفات العلم والسهولة العقليّة"[5]. والمنطق الذي سيعتمد عليه "راسل" كما أسلف الذكر عنه، هو منطق معارض للمنطق الواحديّ، والمقصود بالمنطق الواحديّ عند فيلسوفنا منطق (الموضوع_ المحمول)، هذا الأخير الذي يعود بجذوره إلى أرسطو. لذلك يصبح المطلب الآن _ وذلك قبل الوقوف على منطق "راسل" _ هو تبيان أسباب معارضة هذا الأخير للمنطق الواحديّ. إنّ أهم سبب لاعتراض "راسل" على المنطق التقليديّ[6]، هو سبب يتعلّق بالحجر الأساس الذي يقوم عليه هذا الأخير، والمقصود بذلك هو القضيّة المنطقيّة الأساسيّة الخاصّة بمنطق الموضوع والمحمول، والتي هي القضيّة الحمليّة Categorical proposition. فالقضايا من وجهة نظر المنطق التقليديّ، سواء قضايا العلوم الاستنباطية كالمنطق والرياضيّات، أو قضايا العلوم الاستقرائيّة كالفيزياء والعلوم الطبيعيّة، تعود جميعها إلى نوعين فقط من القضايا هما: (القضيّة الحمليّة والقضية المركّبة). وكانت القضيّة الحمليّة المؤلّفة من موضوع ومحمول هي القضية الأبسط، لأن القضيّة المركّبة Compound proposition ليست سوى قضيّة "تتألف من قضيتين حمليتين (أو أكثر) ترتبطان بأداة ربط معينة"[7]. ويُعَدّ هذا الرأي القائل ببساطة القضيّة الحمليّة، والذي كان سائدًا لدى فلاسفة العصرين (القديم

---

[1]_ لقد اضطرّ الباحث إلى استخدام مصطلح "كثير" ومصطلح "متعدّد" كمترادفين،، وذلك للحفاظ على السياق اللغويّ للمترجم "ماهر عبد القادر محمد علي" لكتاب راسل "فلسفة الذريّة المنطقيّة"؛ إذ، يستخدم المترجم مصطلح "الكثير" و "الكثرة" كما هو مُلاحظ وسيلاحظ في الاقتباسات. بينما راسل وفي كتابه "عرض نقديّ لفلسفة ليبنتز" يستخدم مصطلح "تعدّدي" و"متعدّد" الذي يقابل في اللغة الانكليزيّة "plurality". للمزيد حول هذه النقطة انظر في كتاب راسل:

Russell، Bertrand، A Critical Expositor of The Philosophy of Leibniz، London،1900، pp، 12 15.

[2]_ رسل،، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية،، مصدر سابق،، ص27.

[3]_ See: Paul ،Arthur Schilpp ، The Philosophy of Rudolf Carnap، p199.

[4]_ مهران، ،محمد: فلسفة برتراند رسل،، دار المعارف بمصر، ،القاهرة،، د. ت. ن،، ص 25. نقله مهران عن:

_ Ammerman، R. R.، (editor)، Classics of Analytic Philosophy. Tata McGraw_ Hill publishing Company، Bombay. New Delhi، 1965. P6.

[5]_ مهران،، محمد: فلسفة برتراند رسل،، مرجع سابق،، ص 25. نقله مهران عن:

_ Mardiros. A. M.، "The Origin and Development of contemporary Philosophical Analysis. Thought ، W. G. Gage Limited ، Toronto، 1960، p145.

[6]_ هناك فروقات كبيرة بين مصطلحيْ (المنطق التقليديّ) و(المنطق الأرسطيّ)،، والباحث لا يقصد الخلط بينهما، ،بل المقصود هو ذلك المنطق الذي وظّفَ من قبل فلاسفة حديثين من أمثال ليبنتز واسبينوزا وغيرهما،، توظيفًا يقترب كثيرًا من التصوّرات الأرسطيّة،، ولا سيما تلك التي تتعلّق بالقضيّة المنطقيّة.

[7]_ مهران،، محمد: المدخل إلى المنطق الصوري،، منشورات جامعة دمشق كلية الآداب،، 2011_ 2012، ص 128.

والحديث)، وريثًا للموقف الأرسطي؛ إذ كانت "القضية الحملية Categorical proposition أبسط القضايا عند أرسطو ومن جرى على منواله من المناطقة"[1]. وقد أتت بساطة هذه القضيّة من اعتقاد أصحاب التصوّر التقليدي للمنطق أنّ جميع القضايا الأخرى يمكن أن تردّ إليها، لأنّ العلاقة الموجودة داخلها، هي العلاقة الأساسيّة والأبسط لكلّ العلاقات التي تعبّر عنها القضايا الأخرى.

أمّا "راسل"، فقد اعترض على هذا التصوّر السابق، حجّته في ذلك هي وجود أنواع معيّنة من العلاقات لا يمكن ردّها إلى تلك العلاقة التي تعبّر عنها القضيّة الحمليّة. فنحن من وجهة نظر هذا الفيلسوف، "قد يكون بمقدورنا ردّ العلاقات التماثليّة إلى القضية الحملية، ولكن الحالة خلاف ذلك فيما يتعلق بالعلاقات اللا تماثلية"[2]. وربّما يكون من الجيّد الآن الاستعانة بلغة الأمثلة الحسابيّة لشرح ما يقصده هذا الفيلسوف بالعلاقات التماثليّة Symmetrical relation والعلاقات اللا تماثليّةAsymmetric relation . يمكن القول عن علاقة المساواة في الحساب إنّها علاقة تماثليّة، لأنّ الصيغة (أ= ب) هي متماثلة مع الصيغة (ب= أ)، وهذه العلاقة يمكن ردّها إلى الشكل الحمليّ من القضايا لأنّ (أ) و (ب) كمواضيع، يمكن أن يوجد لهما محمول مشترك هو ذلك المقدار الذي يتساويان من خلاله. يعني إذا كانت (ج) هي ذلك المقدار، فإنّه يمكن القول إنّ (أ و ب) لهما محمول مشترك، أي أنّ (أ=ج) و(ب=ج) وهذا يؤدّي إلى أن (أ= ب). وعليه فإنّ المقصود بالعلاقة التماثليّة عند "راسل"، هو علاقات تشابه المحمول التي تقبل الانعكاس، خذ على سبيل المثال التشابه اللوني بين أ و ب، من حيث أنّ الاثنين لهما محمول مشترك هو (أحمر)، أي أن(أ حمراء) و(ب حمراء) أيضًا، عندها فإننّا بحسب "راسل" يمكن أن نقول: "إذا كان لـ أ التشابه مع ب، فإن ب لها ذات التشابه مع أ"[3]. إنّ هذا الشكل من العلاقات التماثليّة لا يثير أيّ مشكلة حول أساسيّة القضيّة الحمليّة، ذلك أنّه لا توجد صعوبة بعمليّة ردّ هذا النوع من العلاقات إلى الشكل الحمليّ. أمّا مع العلاقة اللا تماثليّة فإنّ المشكلة تتمثّل بعدم إمكانيّة الردّ إلى الشكل الحملي، وذلك بسبب أنّ هذا النوع من العلاقات لا ينطوي على تشابه المحمول كالعلاقات التماثليّة، و"راسل" يضرب لنا مثالًا عن هذا النوع من العلاقات قائلًا: "خذ على سبيل المثال أ أكبر من ب. من الواضح أن "أ أكبر من ب" لا تتألف من أ، ب لهما محمول مشترك؛ لأنه إذا كان هذا صحيحًا فإن الأمر سيتطلب أن ب يجب أن تكون أيضًا أكبر من أ"[4]. وهذا يعني غياب أي محمول يمكن أن يكون مشتركًا لكلّ من (أ) و (ب) يكون من شأنه أنّ يمكّننا من ردّ هذه العلاقة إلى الشكل الحملي. لقد كان عدم القدرة على ردّ هذا النوع الأخير من العلاقات إلى الشكل الحمليّ، من أكبر دواعي "راسل" لرفض التصوّر التقليديّ الذي يقول ببساطة القضية الحملية؛ إذ يرى هذا الفيلسوف أنّ هذه "اللا إمكانية في ردّ العلاقات... ذات أهمية قصوى فيما يتعلق بالمنطق التقليدي، لأن جزءًا كبيرًا من الفلسفة التقليدية يعتمد على الافتراض القائل بأن كل قضية في واقع الأمر ذات صورة الموضوع _ المحمول، وبكل تأكيد فإن هذا الأمر ليس هو الحالة"[5].

إنّ خلاصة ما سبق هو أنّ "راسل" يعترض على التصوّر التقليديّ القائل بأساسيّة القضيّة الحمليّة. لكن، هذا لا يعني أنّ فيلسوفنا يرفض هذه القضيّة رفضًا تامًّا بشكلٍ يقصيها عن واقع كونها قضيّة منطقية، بل على العكس من ذلك، فهو يعدّها قضيّة أساسيّة من قضايا المنطق ولكنّه يعترض على ذلك التصوّر الذي يقول ببساطتها وإمكانيّة ردّ كلّ القضايا إليها، فـ "القضية الحملية عند رسل صورة منطقية أساسية من صور القضايا، ولا يمكن الاستغناء عنها"[6]. أمّا كونها بسيطة وأساسيّة فهو أمرٌ يرفضه "راسل"، وما العلاقة اللا تماثليّة إلّا مثالٌ من أمثلة عدّة يمكن أن تُضَرب لتكون مأخذًا على التصوّر التقليديّ، فعلى سبيل المثال هناك القضيّة الكليّة التي كان المنطق التقليديّ يعتبرها علاقة تقوم بين موضوع ومحمول، ومن ثمّ، يمكن ردّها إلى الشكل الحمليّ، إلّا أنّ تصوّر المناطقة المعاصرين ومن بينهم "راسل" للقضيّة العامّة هو أنّها "ليست حملية إذ لا تحوي موضوع حمل بالمعنى الدقيق، وإنما تنطوي على علاقة معينة بين محمولين...وقد كان الخلط التقليدي بين هذه والقضايا الحملية بالمعنى الدقيق وبالًا على

---

[1]_ المرجع السابق نفسه،، ص 127.

[2]_ رسل،، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية،، مصدر سابق،، ص 65.

[3]_ رسل،، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية،، مصدر سابق،، ص 65.

[4]_ المصدر السابق نفسه،، الصفحة نفسها.

[5]_ المصدر السابق نفسه، ،ص_ ص65 _ 66.

[6]_ زيدان، ،محمود فهمي: المنطق الرمزي نشأته وتطوره،، دار النهضة العربية،، القاهرة،، 1979م،، ص180.

المنطق الصوري"[1]. وهو وبال من جهة أنّه خلطٌ أدّى إلى إغفال أنواع أخرى من العلاقات، كان من شأن الانتباه إليها أن يساعد بعدم تأخّر تطوّر المنطق.

ثانيًا_ حول الميتافيزيقا المؤسّسة على المنطق التقليديّ:

وَرَدَ عن الفيلسوف الأمريكيّ وليم جيمس William James (1842_ 1910) رأيٌ خاصّ عن أنواع الميتافيزيقا التي ظهرت عبر تاريخ الفلسفة، وقد يكون من الممكن عرض هذا الرأي كاستهلال يناسب ما هو آتٍ، كونه يتطابق، من حيث المبدأ، مع تصوّرات "راسل" عن أنواع الميتافيزيقا، ومفاد رأي "جيمس" هو أنّ كل أنواع الفلسفات التي شهدها التاريخ الفلسفيّ "في الساحة الميتافيزيقية، هي إما واحديّة أو تعدّدية، مادية أو مثالية، وعلى طرفي هذه الثنائيات يوجد فريقان يتجادلان بلا توقف"[2]. وبعيدًا عن ثنائيّة المادّيّة_ المثاليّة، فإنّ ما يهمّنا هنا هو ثنائيّة الواحديّة_ التعدّديّة. قد يكون "جيمس" محقًّا في هذا الرأي إلى حدّ بعيد من حيث المبدأ، إلّا أنّ الباحث يتحفّظ على نقطة واحدة، وهي مصطلح (الميتافيزيقا التعدّديّة)، لأنّ ما يفهمه الباحث من هذا المصطلح هو أنّنا أمام ميتافيزيقا تكون عناصرها قابلة للعدّ، كأنّ نقول (ميتافيزيقا ثنائيّة) و(ميتافيزيقا ثلاثيّة)... إلخ. إلّا أنّ مقصد "جيمس" ليس هذا، أو على الأقل لا يجب أن يكون هكذا، لأنّ الميتافيزيقيّات التي يصفها هذا الفيلسوف بالتعدّديّة، والتي عرفها التاريخ الفلسفيّ، هي كلّ أنواع الميتافيزيقا عدا الواحديّة منها، إلّا أنّ هذه الأنواع ليست كلّها ذات عناصر قابلة للعدّ، فميتافيزيقا "ليبنتز" على سبيل المثال هي ميتافيزيقا تقول بوجود مونادات Monads لا نهائيّة تكون هي أساس العالم. لذلك فإنّ "جيمس"، ومعه "راسل" أيضًا، كانا سيكونان أقرب إلى الصواب لو تمّ وصف الميتافيزيقا المقابلة للواحديّة بمصطلح "المتكثّرة" أو "الكثيرة"، لأنّ كلّ ما عدا الواحد كثير، وعليه سيكون تعميم مصطلح الكثير أسلم من تعميم مصطلح التعدّد. هذه هي النقطة.

الآن، وكما أُسلِفَ في البحث كفرضيّة بحثيّة، فإنّ "راسل" هو مع النمط الميتافيزيقيّ التعدّدي، إلّا أنّ تحفّظاته على التعدّديّة التقليديّة كانت بسبب أنّ هذه الأخيرة ناشئة عن منطق لا يمكن أن يؤدّي إلّا إلى نمطٍ واحدّي. لذلك كان "راسل" يثني على الميتافيزيقا الواحديّة عند "باروخ اسبينوزا" (1632 _ 1677)، وينتقد الميتافيزيقا التعدّديّة كما هي ليبنتز ويصفها بالتناقض. طبعًا ليس هذا لأنّ "راسل" مع الواحديّة ضدّ التعدّديّة، بل لأنّه يرى أنّ النتيجة السليمة، والمترتّبة على أخذنا بتصوّر المنطق التقليديّ القائل بأساسيّة وبساطة القضيّة الحمليّة، هي أن تكون الميتافيزيقا الناشئة عن هذا المنطق، ميتافيزيقا واحديّة وليست تعدّديّة. عن هذا يقول "راسل": "ميتافيزيقا "اسبينوزا" هي أفضل مثل لما يمكن أن ندعوه (الواحدية المنطقية) _ وهي القائلة بأن العالم ككل جوهر واحد لا يسع جزءًا من أجزائه أن يوجد وحده. والأساس الأولي لهذه النظرة هو الاعتقاد بأن لكل قضية موضوعًا واحدًا ومحمولًا واحدًا، ويفضي بنا هذا إلى النتيجة القائلة إن العلاقات والتعدد يلزم أن تكون وهمية[3]. أمّا عن "ليبنتز" فإنّ "راسل" يقول: "ليبنيز مذنب في كونه وقع في تضارب خاص حين جمع بين منطق الموضوع والمحمول والتعددية، ذلك لأن القضية (هناك جواهر فردة عديدة) ليست من شكل الموضوع والمحمول. ففيلسوف يعتقد في أن جميع القضايا يجب أن تكون على هذا الشكل، يجب، لكي يكون متسقًا مع نفسه، أن يكون واحديًا، مثل سبينوزا"[4].

من المعروف عن ليبنتز أنّه فيلسوف يعتقد بأنّ العالم مؤلّف من مونادات، حيث تمثّل كلّ مونادة جوهرًا بسيطًا، فبحسب ليبنتز "ليست المونادة... سوى جوهر بسيط، يدخل في تكوين المركب، والبسيط معناه ما لا أجزاء له"[5]، وأن يكون الأمر كذلك فإنّه يقود إلى تعدّدية مفادها أنّ هذا العالم مؤلّف من كثرة مونادات، فمونادات "ليبنتز" " هي الذرات الحقة (التي تتكون منها الطبيعة) وهي

---

[1]_ المرجع السابق نفسه،، الصفحة نفسها.

[2]_ من مقدّمة المترجم حيدر حاج إسماعيل لكتاب: كواين،، ويلارد فان أورمان: من وجهة نظر منطقيّة "تسع مقالات منطقية فلسفية"، ط1،، ترجمة،، حيدر حاج إسماعيل،، مراجعة،، يوسف تيبس،، المنظمة العربية للترجمة،، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية،، بيروت،، 2006،، ص_ ص12_ 13. نقله حيدر حاج إسماعيل عن:
_ James، W: Pragmatism، Green and Company Longman، New York، 1948، pp45_ 46.

[3]_ رسل،، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية "الفلسفة الحديثة"،، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي،، الهيئة المصرية العامة للكتاب،، مصر،، 1977، ص132.

[4]_ المصدر السابق نفسه،، ص157.

[5]_ ليبنتز،، جوتفريد فيلهلم: المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي،، ترجمة وتقديم وتعليق: د. عبد الغفار مكاوي،، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة،، القاهرة،، 1978،، ص125.

على الجملة عناصر الأشياء"[1]. إنّ جوهر الاعتراض ال"راسليّ على ميتافيزيقا "ليبنتز" هو أمر يمكن صياغته على الشكل الآتي: كيف يكون لفيلسوف مثل "ليبنتز" أن يؤسّس لميتافيزيقا تعّدديّة بالانطلاق من منطق يكون أساسه قضيّة حمليّة لا تفيدنا إلّا بفهم علاقة قائمة بين موضوع واحد ومحمول واحد، في حين أنّ ميتافيزيقا "ليبنتز" تقول بوجود مونادات لا نهائيّة تمثّل مواضيع هذا العالم المؤلّف منها، فهنا بالتحديد تظهر المشكلة المتمثّلة بالتساؤل حول كيفيّة تفسير العلاقات القائمة، ليس فقط بين المونادة الواحدة كموضوع وصفات هذه المونادة التي يمكن اعتبارها محمولات، بل أيضًا تلك التي تقوم بين المونادات التي تتألّف منها تعدّديّة "ليبنتز" الميتافيزيقيّة. فالقضيّة الليبنتزية التي قدّمها "راسل" (هناك جواهر فردة عديدة) [2]، والتي تعبّر عن علاقة بين المونادات، لا يمكّن أن تفسّر بمنطق الموضوع والمحمول، كونها قضيّة تربط بين مواضيع عديدة، وليس بين موضوع ومحمول. لذلك كانت وجهة نظر "راسل" هي أنّ تعدّدية "ليبنتز" فشلت في تحقيق الهدف المنشود منها، لأنّها أغفلت أنواع أخرى من العلاقات التي تفترضها التعدّدية نفسها، وقد كان هذا الأمر _ وذلك بحسب "راسل" _ هو خطأ ليبنتز وغيره من الفلاسفة التعدّديّين الذين تبنّوا تصوّرات المنطق التقليدي. عن هذا يقول "راسل": "من اليقيني أن الاستدلالات التي نجدها عند (ليبنتز) وغيره من الفلاسفة أصحاب المذاهب الأولية a priori ليست صحيحة، لأنها جميعها ناشئة عن منطق ناقص. فمنطق الموضوع والمحمول الذي اعتبره كل أولئك الفلاسفة في الماضي أمرا مفروغا منه اما أن يغفل العلاقات كلها، أو ينتج حججا مغلوطة ليبرهن على أن العلاقات غير واقعية"[3]. إذ ليست كل العلاقات المنطقية هي كما تصوّرها ليبنتز، علاقات كيفيّة يمكن ردّها إلى علاقات حمليّة، بل يوجد هناك علاقات تكون أعقد من الكيفيّات، الأمر الذي ينتج عنه بحسب "راسل"، "استحالة رد كلّ العلاقات إلى العلاقة الكيفيّة التي يُعبّر عنها عند" ليبنتز" بوساطة القضيّة الحمليّة[4]. ونحن بهذا نتحوّل مع "راسل" باتجاه قضيّته الجديدة التي يراها تعبّر عن كلّ العلاقات الأخرى، بشكل يساعد على تأسيس ميتافيزيقيّ تعدّديّ.

ثالثًا_ القضيّة العامّة عموميّة تامّة والتأسيس لميتافيزيقا تعدّديّة:

كثيرة هي تلك المداخل التي يمكن لنا أن ندخل من خلالها إلى هذه الفقرة التي ستحاول عكس صورة نقطة اتصال المنطق الذرّيّ بالميتافيزيقا التعدّديّة عند "راسل". لذلك فإنّ الباحث يختار أن يدخل إلى هذه الفقرة من مدخل نظريّة المعرفة ال"راسليّة، هذه الأخيرة التي تبدأ عند "راسل" من سؤال كبير مفاده: ما الذي يمكن لنا أن نعرفه معرفةً يقينيّةً عن هذا العالم؟ إذ يحتل هذا السؤال موضعًا لاهتمام كبير في فلسفة "راسل" وكتاباته، فمثلًا في كتابه (مشكلات الفلسفة)، يطرح هذا الفيلسوف السؤال السابق بالصياغة الآتية: "هل توجد أية معرفة في العالم على تلك الدرجة من اليقين التي لا يمكن معها لأي عاقل أن يساوره الشك فيها؟"[5]. لا يقدّم لنا "راسل" في كتاب (مشكلات الفلسفة) إجابة حاسمة عن هذا السؤال، لكنّنا نجد هذه الإجابة في موقع آخر من كتابه (فلسفة الذرّيّة المنطقيّة)؛ إذ يصرّح هذا الفيلسوف بوجود حقيقةٍ لا يتطرّق إليها الشك، وهو يسوق هذه الحقيقة على الشكل التالي: "إن الحقيقة الثابتة التي أريد أن أجذب انتباهك إليها _ وآمل أن تتفق معي على أن تلك الأشياء التي أطلق عليها حقائق ثابتة واضحة لدرجة أنك تضحك من مجرد ذكرها هي أن العالم يحوي وقائع، تلك التي تكون ما هي عليه أيما اخترناها لنفكر فيها"[6].

إذن، فالحقيقة الثابتة واليقينيّة عند "راسل" هي وجود الوقائع Facts، فإذا سألنا هذا الفيلسوف عن معنى الواقعة فإنه سيجيب: "عندما أتحدث عن (واقعة)... أعني نوع ذلك الشيء الذي يجعل قضية ما صادقة أو كاذبة. إذا قلت (إنها تمطر) فما أقوله يكون

---

[1]_ ليبنتز،، جوتفريد فيلهلم: المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي،، مرجع سابق،، ص 125.

[2]_لقد كان جوتوفريد ليبنتز صاحب أوّل مشروع لوجسطيقيّ في العصر الحديث؛ إذ، أراد في هذا المشروع أن يؤسّس لرياضيّات عامّة،، وذلك عن طريق اشتقاق كلّ هذه الرياضيّات من المنطق،، إلّا أنّ محاولته اللوجسطيقيّة واجهتها كثير من الصعوبات التي أدت إلى عدم نجاح هذا المشروع بالشكل الذي أراده ليبنتز، وقد كانت أكبر هذه الصعوبات هو تعلّق هذا الفيلسوف بمنطق الموضوع والمحمول،، هذا المنطق الذي لم يستطع اللوجسطيقيّون المعاصرون تحقيق أهداف اللوجسطيقا بشكلها المعاصر إلّا بعد التخلّي عنه،، والتوجّه إلى تأسيس منطق جديد هو المنطق الرمزي. للمزيد حول هذه النقطة انظر: عسكر،، أحمد: الإنتاجية في المنطق بين الحدسية واللوجسطيقا (راسل_ بوانكاريه)،، رسالة ماجستير، ،جامعة دمشق،، الجمهورية العربية السورية،، 2018. ص 92 وما بعدها.

[3]_ رسل،، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية "الفلسفة الحديثة"، ،مصدر سابق، ص 157.

[4]_ مهران،، محمد: فلسفة برتراند رسل،، مرجع سابق،، ص226،، بتصرّف.

[5]_ Russell، B: The Problems of Philosophy، Oxford University Press، 1959، p2.

[6]_ رسل، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية، مصدر سابق، ص 32.

صادقًا تحت شرط معين من المناخ، كما أن هذا القول يصبح كاذبًا في ظل شروط أخرى من المناخ، فحالة المناخ التي تجعل عبارتي صادقة (أو كاذبة حسب الحالة) هو ما سوف أسميه واقعة"[1]. فالواقعة، وكما يضعها أمامنا "راسل" في المثال السابق، ليست شيئًا مفردًا كـ "المطر" أو "السماء"، بل هي حالة كاملة تدخل فيها الأشياء المفردة بعلاقات معيّنة تشكّل جميعها "واقعة"، فحالة المناخ في المثال السابق إنّما تعني مجموعة من العلاقات الموجودة بين أجزاء هذا المناخ، تعطيني كلها القدرة على الحكم بصدق أو كذب القول (إنّها تمطر)، هذا القول الذي لا يمثّل اسمًا لشيء مفرد، بل يمثّل عبارةً تعبّر عن مجموعة من العلاقات. فبحسب "راسل" أيضًا: "الواقعة هي ما تعبر عنه العبارة بأكملها وليس ما يعبر عنه اسم وحيد مثل "سقراط"، فالتعبير الكامل عن الواقعة لا بد أن يتضمن دائمًا عبارة"[2]. الآن، عندما يقرّر "راسل" أنّ العالم مؤلّف من وقائع، وأنّ الواقعة هي حقيقة يقينيّة، وهي بالإضافة إلى ذلك علاقة تقوم بين مجموعة من الأشياء بحيث يمكننا أنّ نعبّر عنها بعبارة كاملة، فهذا يعني أنّ "راسل" ينتقل، ومن نظريّة المعرفة، باتجاه تسليط الضوء، لا على أشياء العالم، بل على أهميّة العلاقات التي تقوم بين أشيائه. والواقع إنّ التركيز على أهمّيّة العلاقات هو موقفٌ فلسفيّ "راسليّ ينسجم تمامًا مع المناخ العام لتفكير فلاسفة الرياضيّات في القرن التاسع عشر، فهذا هنري بوانكاريه Henre Poincaré (1854 _ 1912) يصف رياضيّي هذه الفترة بالقول: "الرياضيون لا يدرسون موضوعات بل علاقات بين الموضوعات. فهم، من ثمّ، لا يبالون باستبدال تلك الموضوعات بأخرى، شرط أن لا تتغير العلاقات"[3]. وقد يؤخَذ على الباحث الآن استشهاده ببوانكاريه بسبب أنّ هذا الأخير يتكلّم عن مواضيع رياضيّة، وليس عن مواضيع فيزيقيّة كالتي يتكلّم عنها "راسل". إلّا أنّ المقاربة بين "راسل" وبوانكاريه في هذا المقام، قد يُشفع لها عندما نعلم أنّنا مع بوانكاريه نكون أمام فيلسوف حدسيّ يعتقد بوجود مادّة فكريّة للموضوعات الرياضيّة، وهذه المادّة الفكريّة يحدسها العقل البشريّ نتيجة لاتصاله بمواضيع هذا العالم[4].

بالعودة إلى "راسل" نجد أنّ العالم عنده هو عبارة عن كثرة وقائع ذات علاقات. لذلك فإنّ السؤال الذي ينهض الآن هو: ما الذي يمكننا معرفته عن هذه الوقائع؟ عن هذا السؤال يجيب "راسل" على الشكل التالي: "توجد أيضًا اعتقادات تشير إلى وقائع، وبالرجوع إلى الوقائع تكون هذه الاعتقادات إما صادقة أو كاذبة"[5]. بهذه الإجابة التي قدّمها "راسل"، فإنّه يحوّلنا شطر المنطق، لأنّ معرفتنا عن هذه الوقائع هي معرفة تمثّلها عمليّة الوصف بالصدق أو بالكذب. بكلام آخر: إنّ الحقيقة الثابتة عند "راسل" هي وجود الوقائع، وإنّه قد نمتلك اعتقادات معيّنة عن هذه الوقائع، لكنّ إثبات صدق هذه الاعتقادات أو كذبها، هو عمليّة تتمّ بالرجوع إلى الوقائع نفسها، فإنْ وُجِدتْ وقائع تدعم هذه الاعتقادات، عندها تكون هذه الأخيرة صادقة، وإن لم توجد الوقائع، فعندها تكون الاعتقادات كاذبة. وقد يكون من شأن المثال التالي أن يوضّح ما سبق: إنّ الوقائع التاريخيّة موجودة وهذا لا شكّ فيه، ولنفرض الآن أنّ زيدًا من الناس يعتقد بوجود الواقعة التاريخيّة التي مفادها أنّ سقراط مات مسمومًا، الآن بالرجوع إلى الوثائق التاريخيّة، نجد أنّ الواقعة التي تدعم العبارة (سقراط مات مسمومًا)، هي واقعة موجودة بالفعل، وعندها تصبح العبارة السابقة عبارة صادقة لوجود واقعة تدعمها.

إذن، بالكلام السابق فإنّنا نتحوّل مع "راسل" إلى المنطق، لأنّ هذا الأخير هو الكفيل بتحقيق المعرفة بالوصف بالصدق والكذب. ولمّا كان المنطق التقليدي هو منطق واحديّ لا يستطيع بحسب "راسل" أنّ يعبّر عن كثرة وتعدّديّة هذا العالم، ولا يستطيع أيضًا أن يؤسّس لميتافيزيقا تعدّديّة تحاكي هذا العالم، وذلك بسبب كونه منطق يقوم على أساسيّة قضيّة واحدة هي القضيّة الحمليّة، فإنّ السؤال الآن هو: ما هي القضيّة المنطقيّة الأساسيّة عند "راسل"، والتي يقوم عليها منطقه الذرّي، بحيث نستطيع بالانطلاق منها ومن هذا المنطق أنّ نؤسّس لميتافيزيقا تعدّديّة تحاكي كثرة هذا العالم؟

عندما وصل "راسل" إلى أنّ معرفتنا بوقائع هذا العالم هي معرفة قوامها الوصف بالصدق والكذب، فإنّه بدأ بالبحث عن تلك القضايا التي تساعدنا في عمليّة الوصف هذه، فهو يقول في كتابه (فلسفة الذرّيّة المنطقيّة): "فيما يتعلق بأغراض المنطق... فإنه

---

[1]_ المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

[2]_ مهران، محمد: فلسفة برتراند رسل، مرجع سابق، ص234.

[3]_ بوانكاريه،، هنري: العلم والفرضية، ترجمة وتقديم: حمادى بن جاء الله، ط1،، المنظمة العربية للترجمة،، بيروت، ،2002،، ص99،، بتصرّف.

[4]_ للمزيد حول هذه النقطة،، انظر: عسكر،، أحمد: الإنتاجية في المنطق بين الحدسية واللوجسطيقا (راسل_ بوانكاريه)،، مرجع سابق،، ص 75 وما بعدها.

[5]_ رسل،، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية،، مصدر سابق،، ص 32.

من الطبيعي أن نركّز على القضية باعتبارها الشيء الذي سيكون وسيلتنا النموذجية لثنائية الصدق والكذب"[1]. لكن، هل هذا يعني أنّنا مع "راسل" أمام قضيّة منطقيّة واحدة فقط؟ إنّ الإجابة على هذا السؤال هي النفي، لأنّ "راسل" يعتقد بوجود أكثر من نوع للقضايا المنطقيّة، وهناك كتاب مهمّ تناولها بالتفصيل هو كتاب (المنطق الرمزي نشأته وتطوره) للكاتب (محمود فهمي زيدان)، حيث يعرض هذا الكتاب خمسة أنواع للقضايا المنطقيّة عند "راسل" هي: 1 _ القضيّة الذريّة Atomic proposition: وهي التي يبدأ بها نسق المنطق عند "راسل"، وهو يقدّم لها تعريفين هما: أ_ هي القضيّة التي لا تحوي أي جزء مما يكون في ذاته قضيّة، وهي لا تحوي كلمات مثل "كلّ" أو "بعض". ب _ هي القضيّة التي تقرّر أنّ لشيء ما صفة معيّنة، أو أنّ عدّة أشياء على علاقة معيّنة فيما بينها. وهذه الأخيرة على نوعين: بَ_ قضيّة شخصيّة وهي الوحيدة التي تعتبر حمليّة. بً_ قضيّة علاقة وهي التي تعبّر عن ارتباط شيئين بعلاقة ما، كالعلاقات اللا تماثليّة من صيغة "أ أكبر من ب" وهذه ليست حمليّة. 2 _ القضيّة المركّبة proposition Compound وهي قضيّة تدلّ على علاقة بين قضيتيّن ذريتيّن أو أكثر ترتبط ببعضها بأحد الثوابت المنطقيّة. 3 _ القضيّة العامّة General proposition: وهي القضيّة الكليّة في المنطق التقليدي مثل "كلّ الناس فانون"، وهي ليست حمليّة كما تصوّرها هذا المنطق، بل هي شرطيّة مّتصلة تشير إلى أنّه إذا أخذنا بالمقدم لزم عنه التالي. 4 _ القضيّة الوجوديّة Existential proposition: يعدّ فريجه أوّل من تناول تحليل هذا النوع من القضايا في سياق تحليله لمعنى "وجود الصنف"؛ إذ ذهب إلى أنّ الصنف الفارغ له وجود حتّي ولو لم يندرج تحته ماصدقت، لأنّ هذا الوجود لا يعني وجودًا واقعيًّا محسوسًا، وإنّما يعني أنّ هذا الصنف له معنًى يمكن التفكير فيه، وليس ل"راسل" نظريّة في هذا النوع من القضايا أكثر ممّا أتى به فريجه ومن بعده بيانو. 5 _ القضيّة العامّة عموميّة تامّة: وهي القضيّة التي تعبّر عن حقائق المنطق والرياضيّات البحتة، وهي عامّة عموميّة تامّة لأنّها تنطبق على كلّ العلاقات، سواءً أكانت علاقات بين أصناف أو علاقات بين عضو والصنف الذي ينتمي إليه أو علاقات بين قضايا[2].

على ضوء ما سبق تكون القضيّة المنطقيّة التي يعتبرها "راسل" أساسيّة، هي القضيّة العامّة عموميّة تامّة، وتأتي أساسيّة هذه القضيّة من عدّة أمور، أهمّها هي قدرتها على التعبير عن كلّ العلاقات التي تفترضها التعدّدية، ثمّ أنّ كلّ القضايا الأخرى يمكن أن تُردّ إليها، بالإضافة إلى قدرتها على وصف كلّ وقائع العالم، وهذا ما لا تستطيع أن تفعله باقي القضايا. إنّ السبب في قدرة القضيّة العامّة عموميّة تامّة على وصف كلّ وقائع العالم، هو أنّها تنطبق على كلّ شيء في هذا العالم، دون ذكر لأي شيء. يقول "راسل": "القضايا العامة عمومية تامة من ذلك النوع الذي لديك في المنطق، حيث لا يوجد ذكر لأي مكون مهما كان عن "العالم الواقعي"، ولا ذكر لأي شيء جزئي أو كيفية جزئية، أو علاقة جزئيةً"[3]. والقضيّة العامّة عموميّة تامّة أوسع بكثير من القضيّة الحمليّة التقليديّة، لأنّه إذا كانت هذه الأخيرة تعبّر فقط عن علاقة بين موضوع ومحمول، فإنّ القضيّة العامّة عموميّة تامّة تعبّر عن علاقات بين قضايا، ذلك أنّها قضيّة شرطيّة، أو قل: إنّها قضيّة تعبّر عن علاقة يقوم بين طرفيها ثابت التضمن أو اللزوم، وهذا واضح من كل صياغاتها. خذ على سبيل المثال الصياغة التالية التي يعرضها (محمود فهمي زيدان): "إذا كان أ يتضمن ب، وب يتضمن ج، فإن أ يتضمن ج... إذا كان كل أفراد أ أفرادًا في ب، وكل أفراد ب أفرادًا في ج، فإن كل أفراد أ أفرادًا في ج... إذا كان كل أفراد أ أفرادًا في ب، و هـ أحد أفراد أ، فإن هـ فردًا في ب"[4]. ونحن نلاحظ هنا أنّ هذه القضيّة تستطيع فعلًا أن تصف وقائع العالم، لأنّها أوّلًا لا تذكر أي شيء، وثانيًا لأنّها تبقى صادقة مهما كان التأويل الواقعيّ لكلّ من (أ) و(ب) و(ج).

لقد كان "راسل" يعتبر أنّ هذه القضيّة عامّة لدرجة أنّها تستطيع أن تعبرّ عن كلّ علومنا، ولا سيما الرياضيّات؛ إذ يؤكد لنا في كتابه (أصول الرياضيات)، أنّ كلّ الرياضيات يمكن أن تُعَرّف بهذه القضية، فهو يقول في الكتاب المذكور: "الرياضة البحتة هي باب جميع القضايا التي صورتها "ق يلزم عنها ك"[5].

---

[1]_ رسل، برتراند، فلسفة الذرية المنطقية، مصدر سابق، ص35.

[2]_ زيدان، محمود فهمي، المنطق الرمزي نشأته وتطوره، مرجع سابق، ص_ ص178_ 266، بتصرّف.

[3]_ رسل، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية، مصدر سابق، ص34.

[4]_ زيدان، محمود فهمي، المنطق الرمزي نشأته وتطوره، مرجع سابق، ص192.

[5]_ رسل، برتراند: أصول الرياضيات، ترجمة: محمد مرسي أحمد و فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، 1937، ص31.

هكذا، وبالانطلاق من منطق ذرّيّ يقوم على قضيّة أساسيّة تنطبق على كلّ العلاقات هي القضيّة العامّة عموميّة تامّة، اعتقد "راسل" أنّه مستطيع الانتقال باتجاه تأسيس نمط ميتافيزيقيّ تعدّديّ دون الوقوع بأيّ تناقض يمكن أن يحصل عندما ننتقل إلى مثل هذه الميتافيزيقا من موقع القبول بأساسيّة القضيّة الحمليّة. فالتعدّديّة الميتافيزيقيّة تحتاج من وجهة نظر هذا الفيلسوف إلى قضيّة منطقيّة تُقال على كلّ العلاقات، ولا سيما تلك التي تقوم بين القضايا مثل (ق) و(ك)، وليس فقط تلك التي تقوم بين الحدود من موضوع ومحمول، وقد كانت هذه النقطة هي صلة الوصل بين المنطق الذريّ عند هذا الفيلسوف وبين ميتافيزيقاه التعدّديّة التي تجسّدت في مرحلة من مراحل تطوّره الفكري بما يُعرف بـ "الذريّة المنطقيّة" Logical atomic.

نتائج البحث:

يمكن عرض أهمّ النتائج التي توصّل إليها هذا البحث بالنقاط الآتية:

1_ تتعلّق النتيجة الأولى بفرضيّة "راسل" القائلة بأنّه على أساس نوع محدّد من المنطق ينتج نوع خاص من الميتافيزيقا. لقد تحفّظ الباحث في بداية البحث على هذه الفرضيّة بالإشارة إلى وجود فلاسفة كُثر كانوا ميتافيزيقيّين دون أن يكونوا منطقيّين. لكن قد يوجد من يؤيّد "راسل" بالقول الآتي: إنّ أيّ ميتافيزيقيّ لا بدّ وأن يكون له نمط معيّن من التفكير في أثناء حديثه عن الميتافيزيقا، وأن يكون له نمط تفكير معيّن فهذا يعني أنّه يفكر بالميتافيزيقا بشكلٍ لن نقول عنه منطقيّ بحت، لكن على الأقل هو شكلٌ من أشكال التفكير الذي يحاول بوساطته هذا الميتافيزيقيّ أن يكون متناسقًا وبعيدًا عن التناقض، والتناسق وعدم التناقض هما آليّتان من آليّات التفكير المنطقيّ أيًّا كان هذا المنطق. نعم، قد يكون هذا الكلام سليمًا إلى درجة كبيرة، إلّا أنّه ليس ضُروريًّا، ذلك بسبب أنّ فرضيّة "راسل" لا تعني أنّ الميتافيزيقا تنشأ عن تفكير منطقيّ معيّن، بل إنّ مفادها هو أنّ أيّ منطق لا بدّ أنّ يؤدّي إلى ميتافيزيقا معيّنة تنشأ عنه. وهذا غير سليم أبدًا، ولنا في الفلسفة الوضعيّة خير مثال على ذلك، لأنّ أغلب روّاد هذه المدرسة منطقيّون من طراز رفيع، إلّا أنّهم يرفضون الميتافيزيقا لأنّهم يعتبرونها غير معلّلة منطقيًّا، أي أنّ مسائلها لا تتصّل بالمنطق ولا يؤدّي إليها المنطق أبدًا، بل على العكس من ذلك؛ إذ تكون الميتافيزيقا مرفوضة على أساس المنطق عندهم.

2_ ينتقد "راسل" تعدّديّة "ليبنتز"، إلّا أنّ واقع الأمر هو أنه ينتقد أرسطيّة هذه التعدّديّة، وأن يكون الأمر كذلك فإنّ مناقشة الجذر الأرسطيّ لمنطق الموضوع والمحمول كان لا يجب أن تغيب عن المناقشات التي يطرحها "راسل". لأنّ الأفضل كان أن نقرأ تناقض تعدّديّة "ليبنتز" على ضوء الانتقادات ال"راسليّة لأرسطو، وليس أن نستشعر قصور المنطق الأرسطيّ من تعدّديّة "ليبنز".

3_ على الجانب المنطقيّ، فإنّه لا يمكن إنكار جهود "راسل" التي أدّت إلى توسيع المنطق إلى تلك الدرجة التي استطاع فيها أن يكون أساسًا لكلّ العلوم الأخرى ولا سيما الرياضيّات، ذلك أنّ المنطق الجديد استطاع أن يتجاوز الركود الناتج عن دراسة الموضوعات، إلى الخصوبة التي تنشأ عن دراسة العلاقات، لأنّ دراسة العلاقات تمضي بنا إلى أبعد من تلك العلاقة الداخليّة التي تقوم بين الموضوع والمحمول في القضيّة الحمليّة، فلا نغفل العلاقات الأخرى كالتي تقوم بين قضيّتين، الأمر الذي نشأ عنه توسيع مجال الاستنباط إلى درجة أصبح فيها المنطق الجديد، يستحقّ إلى درجة كبيرة أن يكون منطق العلم، من حيث إنّه أصبح قادرًا على تقديم صورة كلّ العلاقات التي تدرسها العلوم الأخرى.

4_ على الجانب الميتافيزيقيّ فإنّه يمكن القول: إنّ "راسل" استطاع في مرحلة متقدّمة من مراحل تطوّره الفكريّ، أن يتجّه دون تناقض نحو ميتافيزيقا تعدّديّة ستكون سببًا من أسباب تطوّر "راسل" الفكريّ باتجاه إنتاج نظريّات جديدة قد يكون من شأنها ملاءمة المعطيات العلميّة أكثر، كنظريّة الواحديّة المحايدة وغيرها من النظريّات الأخرى التي تشكّل موروثًا "راسليًّا استمر صداه في ساحة الدراسات المنطقيّة حتى يومنا هذا.

المصادر والمراجع:

أوّلًا: المصادر باللغة العربيّة:

1_ رسل، برتراند: أصول الرياضيات، ترجمة: محمد مرسي أحمد و فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، 1937.

2_ رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية "الفلسفة الحديثة"، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1977.

3_ رسل، برتراند: فلسفة الذرية المنطقية، ترجمة وتقديم: ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998.

ثانيًا: المصادر باللغة الأجنبيّة:

1_ Russell، B: A Critical Exposition of the Philosophy of Leibniz، Cambridge At the University Press، 1900.

2_ Russell، B: The Problems of Philosophy، Oxford University Press، 1959.

ثالثا: المراجع باللغة العربيّة:

1_ الفندي، محمد ثابت: أصول المنطق الرياضي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص158.

2_ بوانكاريه، هنري: العلم والفرضية، ترجمة وتقديم: حمادى بن جاء الله، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2002.

3_ زيدان، محمود فهمي: المنطق الرمزي نشأته وتطوره، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979م.

4_ ليبنتز، جوتفريد فيلهلم: المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ترجمة وتقديم وتعليق: د. عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، القاهرة، 1978.

5_ كواين، ويلارد فان أورمان: من وجهة نظر منطقيّة "تسع مقالات منطقية فلسفية"، ط1، ترجمة، حيدر حاج اسماعيل، مراجعة، يوسف تيبس، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

6_ مهران، محمد: المدخل إلى المنطق الصوري، منشورات جامعة دمشق كلية الآداب، 2011_ 2012.

7_ مهران، محمد: فلسفة برتراند رسل، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ت. ن.

رابعًا: المراجع باللغة الأجنبيّة:

1_ Ammerman، R. R.، (editor)، Classics of Analytic Philosophy. Tata McGraw_ Hill publishing Company، Bombay. New Delhi، 1965.

2_ James، W: Pragmatism، Green and Company Longman، New York، 1948.

3_ Mardiros. A. M.، "The Origin and Development of contemporary Philosophical Analysis. Thought ، W. G. Gage Limited ، Toronto، 1960، p145.

4_ Paul ،Arthur Schilpp ، The Philosophy of Rudolf Carnap، p199.

خامسًا: المعاجم:

1_ طرابيشي، جورج: معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006.

سادسًا: الأطروحات والرسائل العلميّة:

1_ عسكر، أحمد: الإنتاجية في المنطق بين الحدسية واللوجسطيقا ("راسل"_ بوانكاريه)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية، 2018.